الباب الأول

القدس ما قبل التاريخ

obeikandl.com

obeikandl.com

الفصـــل الأول

القدس الكنعانية

سميت بلاد فلسطين بأرض كنعان والتي ما زالت في اللغة العربية بمعنى(ك. ن. ع)، والتي تدل على الانخفاض، وقد وردت هذه الكلمة في جميع اللغات السامية القديمة بمعنى الانخفاض والخضوع، أي الأرض المنخفضة عن غيرها كأرض لبنان العالية. أما اسم فلسطين هذا الذي وضع في دوامة البلبلة والتيه والضياع وحين رده الباحثون إلى أصول يونانية، فقد ورد هذا الاسم في نصوص العهد القديم في التوراة بصيغة (فلشتم) صيغة الجمع لمفرد (فلشت)، بمعنى فلاح.[1]

والكنعانيون من العرب بالاتفاق بين المؤرخين، فقد ذكر المؤرخ العربي ابن جرير الطبري، عن الكنعانيين في تاريخه، وقال"إنهم من العرب البائدة، وأنهم يرجعون بأنسابهم إلى العمالقة، فقال: عمليق أبو العماليق، كلهم أمم تفرقت في البلاد، وكان أهل المشرق وأهل عمان وأهل الشام وأهل الحجاز منهم، ومنهم كانت الجبابرة في الشام الذين يقال لهم الكنعانيون "[2]

"كما ورد ذكر كنعان في رسائل "تل العمارنه" التي تعود إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد باسم (Konkani)، وكانت هذه التسمية تطلق آنذاك على القسم الجنوبي من بلاد الشرق المشتملة على أرض فلسطين، والتي كان قد استولى عليها تحتمس الثالث، قبل القرن الخامس عشر قبل الميلاد، أما القسم الشمالي فقد كان يسمى أمورا، ويشمل لبنان

(1) عمرو، يونس، خليل الرحمن مدينة لها تاريخ، جامعة الخليل، منشورات مركز البحث العلمي، ط2، 1987م، ص 12.

(2) شراب، محمد محمد حسن، بيت المقدس والمسجد الأقصى المبارك، المدينة المنورة، حي النصر ط1، 1994م، ص 55.

وشرق الأردن، وكنعان هي نفس التسمية التي وردت في التوراة 85 مرة، أي 83 مرة في العهد القديم ومرتان في العهد الجديد.

أما النص التوراتي الخاص بهذه التسمية، فقد جاء على النحو التالي "وقد ولد صيدون بكره وحثا واليبوسي والأموري والجرجاشي والحوي والعرقي والسيني والأروادي والصماري والحماني وبعد ذلك تفرقت قبائل الكنعاني، وكانت تخوم الكنعاني من صيدون حينما تجيء نحو جرار إلى غزه، وحين تجيء نحو سدوم وعموره وأدمه وصبوييم إلى لاشع."[1]

يعلل الدكتور أحمد شلبي، في كتابه "مقارنة الأديان" عن القبائل الكنعانية، واستقرارها في هذه البلاد فلسطين، بقوله(وإلى الجنوب من الفينيقيين نزلت قبائل عربية أخرى أشهرها، قبائل الكنعانيين، حوالي 2500 ق.م واستقرت على ضفة الأردن الغربية، منسابة نحو البحر المتوسط، وسميت هذه المنطقة باسمهم، فأصبحت تدعى (بأرض كنعان). [2]

بقي الصراع محتدما بين الكنعانيين أهل البلاد الأصليين، والأمم الغازية لبلادهم فلسطين، مثل الخبيرو، أو العبيرو وبنو إسرائيل والأمم اللاحقة طيلة وجودهم في هذه البلاد.

لقد امتد الصراع بين بني إسرائيل والكنعانيين والفلسطينيين إلى أيام التيه حيث دخل الإسرائيليون في صراع حقيقي مع الفلسطينيين بقيادة يشوع بن نون رغم تحقيقهم بعض الانتصارات، إلا أن الفلسطينيين لم يتنازلوا عن تواجدهم في مدنهم، حتى في أوج عظمة الممالك الإسرائيلية، وكذلك في عصور الفراعنة والروم والفرس. فالكنعانيون هم أهل البلاد الأصليين، وهم ساميون عاشوا في بلادهم فلسطين قبل مجيء الخبيرو والعبيرو

(1) سفر التكوين 10 / 19.

(2) شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، ط10، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، 1992م، ص 48.

وكان وجودهم في بلادهم قبل مجيء سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) إلى هذه الديار.[1]

يعلل السيد أنيس فريحه في موضوعه أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها أن كلمة كنعاني مرادفة للفينيقي، والفينيقي مرادف للتاجر، فبلاد كنعان امتد تاريخها على طول الشاطئ، وفي الداخل شملت فلسطين كلها وقسماً كبيراً من سوريا.

ولكي نخرج من دائرة البحث عن أصل كلمة كنعان، يجدر بنا العودة إلى ما طرحه الأستاذ يونس عمرو في كتابه (القدس مدينة الله) حيث أورد ما يلي [وفي معرض الرد على هذا الاعتقاد نقول:أن الاسم كنعان ما كان اسما لشخصية من سلالة أبناء نوح، ولم يكن ابنا لا لسام ولا لحام، بل هو اسم الأرض التي سكنها الكنعانيون يوم أن هاجروا مع إخوانهم من أرض الجزيرة ضمن الهجرات السامية فانتسبوا إليها، هذه الأرض التي عرفت بهذا الاسم لانخفاضها بالنظر لأنحاء بلاد الشام الأخرى المرتفعة عنها كما سبقت إشارتنا حول دلالة مادة هذا الاسم (كنع) والتي توجد في اللغات السامية، فهي في الكنعانية والعبرية (كانع) بمعنى تواضع وذلة وخضوع، ولا يخفى ما لهذه الدلالة من ارتباط بالانخفاض، أما في الآرامية فهي (كنع)بنفس الدلالة، ولكنها في اللغة العربية تدل على الانخفاض بصراحة ووضوح فيقال: أرض كانعة، بمعنى أرض منخفضة.[2]

أما ما ورد من الاعتقاد بأن التفكك والانحلال قد حل في رابطة الكنعانيين بالعبريين قبل خروجهم من الجزيرة، وما ترتب على ذلك من رد العبريين نسب الكنعانيين للحامين وليس للساميين في العهد القديم، فهذا مما لا يقوم عليه دليل أو سند صحيح، بل أن بعض الباحثين ومنهم من اليهود أنفسهم قد أقر علنا بوجود العلاقة

---

(1) فريحه، أنيس، أسماء المدن والقرى اللبنانية وتفسير معانيها، دراسة لغوية، سلسلة العلوم الشرقية، الحلقة 27، بيروت، الجامعة الأمريكية، منشورات دار العلوم والأدب، 1956م، صxx1 .

(2) أنظر كنع (wJesenius> Hebrow and English Lexicon of The O.T) وانظر ابن منظور، لسان العرب (كنع).

الطيبة بين العبريين والكنعانيين على طول عصور مختلفة، فهذا يعقوب إيزاكس (اليهودي)يقول ما معناه باللغة العربية" لقد بقي الكنعانيون على علاقة طيبة بالشعب اليهودي على مدى قرون عديدة "[1]"[2]

كانت المدن الكنعانية تتألف من دول مدينيه تتقاتل فيما بينها، وكانت تجمعها الحروب الخارجية، وقد برهن الكنعانيون على أنهم شعب مسالم يهتم بحياته، واستصلاح أرضه، وبناء مدنه، ليس فيه طبيعة عدوانية، أو توسعية، بل هو شعب مُرفَه، وقد برهن على هذه الرفاهية، ما كانت تتمتع به بلاده من خيرات وحضارة وعمارة، وفي عهد الفرعون (تحتمس الثالث) اضطروا إلى التحالف فيما بينهم عام 1479ق.م ضد الفرعون المصري في مجدو، وعندما عاد (تحتمس الثالث) إلى مصر أخذ معه ما يدل على ثراء الكنعانيين، وبذخهم، وتفننهم في العيش في بلادهم فلسطين، العربات المطعمة بالذهب، وأسرّة من العاج، وأواني، وسيوف وتماثيل من الذهب، كما أخذ معه 7 آلاف كيس من الحنطة، وفي كتاباته أسماء 118 مدينة يعتقد أنها المدن التي اقتحمها في بلاد كنعان، وقد تحولت الدويلات أو المدن الكنعانية إلى محميات مصرية بعد ذلك.[3]

ولا أدل على براعة الكنعانيين وقدراتهم في العمل، ذلك النحت والأنفاق الطويلة تحت الأرض، والتي استعملت لجر المياه إلى مدينة القدس، ومن أهم هذه الأنفاق، نفق مدينة جازر(أبو شوشه) الذي يبتعد عن القدس 35 كم، بالإضافة إلى نفق عين سلوان، الذي دخل منه سيدنا داود واستولى على المدينة المقدسة من أيدي الكنعانيين، والذي قام بحفره اليبوسيون: وهم فرع من الكنعانيين، حيث سحبوا إليه المياه من عين جيحون.[4]

---

(1) أنظر: J. Isaacs ، Our People Hestory Of The Jews.Vol,1.P,113 }.

(2) القدس مدينة الله، مصدر سبق ذكره ص 10و11.

(3) سوسه أحمد، العرب واليهود في التاريخ، مصدر سابق، ص 11و33.

(4) الحوت، بيان نويهض، مصدر سابق، ص 23.

كما أنهم برعوا في أمور عديدة من الحضارة في كافة المجالات الزراعية والصناعية والطب والثقافة واكتشاف الأحرف، وقد علمنا من آثارهم أنه كانت لهم كتب ومؤلفات في عديد من العلوم والفنون وكانت لهم أسفار، ومن هذه الكتب نفهم أنهم كانوا يعبدون الأصنام، وصنمهم "بعل" ومعناه الرب (السيد) أي أنه إله الشمس، ولا تزال هذه الكلمة تستعمل بمعنى (السيد أو الزوج).

قال تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾[1] ومن أقدم المدن الباقية إلى اليوم أريحا واشدود وعكا وغزة والمجدل ويافا، والمدن التي تغيرت أسمائها بمرور الزمن، يبوس (القدس) وشكيم (نابلس) وبيسان (بيت شان) وصديم (حطين).[2]

القدس العربية في المرحلة الكنعانية المتأخرة

لقد تجاهل العديد من المؤرخين الفترة التي كانت في نهاية العهد الكنعاني بقصد أو بغير قصد حتى يتركوا المجال مفتوحا أمام الأمم الغازية مبررين ذلك بأن أرض فلسطين كانت بلاداً بلا شعب، وأن من حق الغزاة أن يستولوا عليها ويثبتوا أقدامهم عليها.

إن المتبصر لهذه الحقبة، لا بد أن يجد الأدلة المادية الهائلة التي تدل على عراقة هذا الشعب الذي كان يسكنها، وما كان لديه من حضارة ومدن عامرة وأسوار شامخة تحيط بهذه المدن لصد غارات المعتدين، والتي ما زالت ماثلة حتى وقتنا الحاضر، وما تزال الشواهد أمامنا من بقايا هذه الأمم والمكتشفات الآثارية والمخلفات الحضارية تبرهن على وجود هذه الأمم من صور شمالا إلى جرار جنوبا(خان يونس)، وقد عثر في مغائر (إيبلا) وفي تل العمارنة وأوغاريت على ألواح من الفخار مكتوب عليها عن حضارات هذه الأمم الغابرة، كما وأن المدن التي كانت وما زالت ماثلة للعيان، مثل بيت مرسم قرية (سيفر) وتل الدويري ومجدو وشكيم نابلس وأورشليم القدس وغيرها، من المدن

(1) القرآن الكريم، سورة الصافات، رقم الآية 125.

(2) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، مصدر سابق ص، 42.

الفلسطينية الكنعانية القديمة، ما زالت شاهدة على عظمة هذه الأمم، ولا يمكن بأي حال من الأحوال طمس معالم هذه الحضارات أو تجييرها لغير أصحابها العرب الأصليين.

علاوة على ما ورد في المراجع التوراتية والنصوص والأسفار القديمة عن هذه المدن والحضارة السالفة وما ورد فيها من صراع بين أهلها الأصليين والغازين الذين امتدت حروبهم مدداً طويلة فإن الدلائل جميعها تشير إلى أن هذه البلاد لم تكن خالية من سكانها، وأنهم لم ينقرضوا أويفنوا يوما ما ولم ينته تواجدهم فيها، بل أن الحضارات الكنعانية العربية المتلاحقة، تواصلت منذ فجر التاريخ حتى وقتنا الحاضر، فهذه البلاد عرضة للغزوات والحروب المتعاقبة، ولكن هناك ظاهرة ما زلنا نعيشها حتى وقتنا الحاضر، ألا وهي ظاهر أصالة السكان الأصليين المتجذّرين على مرِّ العصور، فقد غزاها العبرانيون والإسرائيليون والرومان والفرس واليونان والمغول والصليبيون وغيرهم. بل إنّ ظاهرة الغزو الأجنبي لهذه البلاد لم تجعل من أهلها قوماً يستكينون للأجنبي بل أنهم بقوا في أوطانهم وأثّروا في غيرهم، ولم يستطيعوا أن يقضوا على تواجدهم الموصول، ولا على عاداتهم أو تقاليدهم أو عرقهم أو جنسهم العميق الجذور. ففي كل مرحلة كان المحتل يتعايش مرحلة محددة، بيد أنه لم يكن مستقراً، حيث أن المقاومة كانت متواصلة من قِبل أهل هذه البلاد.

أما القدس العربية فقد بقيت شامخة بأصالتها وإن اختلفت الأمم المعاقبة عليها، أما أهل هذه البلاد الذين عاشوا فيها منذ أزمان موغلة في القدم وانتشروا على أرجائها فقد طغى عليها اسم فلسطين، بحكم أن اسم فلسطين أصبح علماً عليها، فمهما اختلفت التسميات وتعددت الأسماء، فإن الأرومة العربية قد حافظت على زخمها وتواجدها لهذه المدينة.

حياة الكنعانيين العمرانية :

بنى الكنعانيون الصهاريج فوق أسطح المنازل، وكما هو معلوم بأن مدينة القدس ليس بها أنهار أو عيون ماء تغطي حاجة السكان، فكان لا بد من استغلال مياه الأمطار، مما دعا السكان المحليين الاستفادة من المياه التي تجمع في فصل الشتاء، وهذا

النظام معمول به على مدى الأزمنة في المناطق التي تفتقد إلى مصادر المياه الطبيعية، وتعتمد في ريها وزراعتها على مياه الأمطار.

الكنعانيون ساميون، وهم أهل البلاد الأصليون، عاشوا في بلادهم فلسطين، منذ أزمان موغلة في القدم، وكان وجودهم قبل مجيء قبائل الخبيرو، والعبيرو، وقبل مجيء سيدنا إبراهيم الخليل(عليه السلام) إلى فلسطين، والشواهد التوراتية تدل على ذلك:

- "فأخذ أبرام وساراي امرأته ولوطا ابن أخيه وكل مقتنياتهما التي اقتنيا والنفوس التي امتلكا في حاران وخرجا ليذهبا إلى مكان شكيم إلى بلوطة موره وكان الكنعانيون حينئذ في الأرض" [1]

أما الفلسطينيون فهم أهل البلاد أصلاً، وقد ورد اسمهم صراحة في العديد من النصوص التوراتية، التي تثبت أنهم أهل هذه البلاد، وأنهم كانوا فيها قبل غيرهم، ومن هذه النصوص:

_" فذهب اسحق إلى أبي مالك ملك الفلسطينيين على جرار". [2]

أي أنه كان للفلسطينيين ملك وحضارة قبل مجيء اسحق بن إبراهيم، وكان له مواشي من الغنم، والبقر، فحسده الفلسطينيون.

_"وجميع الآبار التي حفرها عبيد أبيه في أيام إبراهيم طمسها الفلسطينيون". [3]

فإذا استطردنا للعديد من هذه النصوص نجد أن هذه البلاد كانت لأهلها الأصليين الفلسطينيين، وأننا سنخرج بالنتائج الآتية:

1- ثمة العديد من النصوص التوراتية التي تذكر اسم الفلسطينيين صراحة، وأنهم هم أهل البلاد قبل مجيء سيدنا إبراهيم الخليل وموسى (عليهم السلام) إليها.

---

(1) سفر التكوين، 12/ 7.

(2) سفر التكوين، 26 / 2.

(3) سفر التكوين، 26/ 15.

2- تذكر هذه النصوص، أن سيدنا إبراهيم كان غريبا هو وذريته في أرض الفلسطينيين، وأن الأرض التي دخلوها لم تكن لهم.

3- إن الأسماء التي وردت، كانت معروفة قبل مجيء العبرانيين، وكان في هذه البلاد حضارة ومدنا عامرة وممالك قائمة.

4- كان للفلسطينيين مملكة وشعبا، وحكاما مثل أبي مالك ملك الفلسطينيين.

5- منذ عهد سيدنا إبراهيم وإسحق ويعقوب وبقية الأنبياء (عليهم السلام) لم تذكر التوراة أرض إسرائيل صراحةً، بل تنص على أن هذه الأرض هي أرض الكنعانيين والفلسطينيين.

القدس اليبوسية

تفرّع عن الكنعانيين بطون مختلفة كالفينيقيين والأموريين واليبوسيين، وكانت أماكن اليبوسيين في فلسطين حيث اتخذوا مدينة القدس آنذاك حاضرة لهم وسموها باسمهم(يبوس، فكلمة يبوس في اللغات السامية القديمة تدل على (البأس) أي القوة والخشونة والقسوة، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴾[1].

وهذه التسمية عرف بها هؤلاء القوم بخشونتهم وقسوتهم وشدة بأسهم، فقد استطاعت هذه المدينة بشدة رجالها وقسوتهم الصمود في وجه الغزاة.

فاليبوسيون هم سكان القدس وقد ورد ذكرهم في العديد من المصادر التاريخية كالحفريات والآثار القديمة، كما هو الحال في عيون مياه جازر (أبو شوشه)، والحصون التي في المدينة، كما أن اسمها ورد في العديد من النصوص التوراتية، فهم أصحاب حضارة، وذوو بأس وشدة، ويجب أن يدرك (اليهود) أن القدس بنيت قبل ظهور بني

(1) القرآن الكريم، سورة الإسراء، آية 5.

إسرائيل على مسرح الأحداث، وكان أهلها يقيمون فيها، وأن مثلهم في ذلك الاعتراف بغيرهم، لا مثلهم الإيمان ببعض الكتاب وتركهم البعض الآخر.

هذا كتاب التوراة، يدل صراحة على وجود هذه الأمة، والحضارات المتعاقبة على القدس، كالكنعانيين واليبوسيين، وان هذه الأرض برها وبحرها عربي كنعاني يبوسي فلسطيني.

(واجعل تخومك من بحر سوف إلى بحر فلسطين)، [1] حيث مرَّ على هذه المدينة أزمان بعيدة لم يكن فيها أي أثر لبني إسرائيل (فلم يرد الرجل أن يبيت وذهب وجاء إلى مقابل يبوس هي أورشليم ومعه حماران مشدودان وسريته معه.) [2]

إن منعة وشدة هذه المدينة المتمثلة بسكانها، أسهم في عدم استطاعة الغزاة تجاوزها."وقالوا قد ذهبنا على الأرض التي أرسلتنا إليها، وحقا لقينا لبناً وعسلاً، وهذا ثمرها، غير أن الشعب ساكن في الأرض معتز، والمدن حصينة، وعظيمة جدا، وأيضا قد رأينا بني عناق هناك العماليق، ساكنون في أرض الجنوب والحثيون واليبوسيون والأموريون ساكنون في الجبل والكنعانيون ساكنون عند البحر وعلى جانب الأردن "[3]

هكذا فقد كانت فلسطين مليئة بالأمم والحضارات، ولم يكن هناك أي متسع إلى أي شخص غريب بأن يكون له موضع قدم عندهم، حتى أن أهل هذه البلاد عندما هاجمهم بنو إسرائيل توحدوا ضدهم وشكّلوا حلفاً عسكرياً للحيلولة دون دخولهم هذه البلاد، أي أن الطريق لم يكن ممهداً أمامهم وأن الأمم التي كانت موجودة ما كانت ضعيفة حتى يسهل الاستيلاء على هذه البلاد.

فهل هناك شك في إنكار الأمم والشعوب التي كانت تسكن هذه البلاد، وكانت تقيم لها حضارة ومدناً حصينة؟

---

(1) سفر الخروج إصحاح 23/ 31.

(2) سفر القضاة إصحاح 19/ 10.

(3) سفر عدد، إصحاح 31/ 3.

سكن أصحاب هذه البلاد، وأسسوا فيها حضارات، وعمرّوها منذ آلاف السنين، وهل هناك مجال لادعاء مدعي بأنه – الأول والأخير – في هذه البلاد، منكراً حقوق بل ووجود غيره، كما يفهم الصهاينة اليهود العالم بهذه المقولة الزائفة؟!

"تعود أول إشارة وردت عن المدينة إلى الحفريات التي جرت في (تل مرديك) بشمال سوري، والتي أسفرت عن اكتشاف آثار لمملكة قديمة دعيت باسم مملكة (أيبلا) ووجد بين آثار هذه المدينة ألواحا كتبت عليها اسم مدينة سالم وهو أول اسم عرف للمدينة. "[1]

فاليبوسيون الكنعانيون بنوا مدينتهم قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة بسواعدهم وحفروا بيوتها الكلسية البيضاء بأيديهم الجبارة وحموها بصدورهم من المعتدين الغزاة.

تمكن اليبوسيون من حفر الأنفاق والأحواض مما كان له شأن كبير في تاريخ بلدهم، فكانت الأشياء نسبية، وقدرت مساحتها في بداية إنشائها 16–18 فداناً وعدد سكانها قليل يكتفون بحياة الأمطار، وبعد أن تكاثروا رأوا أن يستفيدوا من مياه عين أم الدرج.

(وقد سكنوها حيث إنهم انحدروا من الكنعانيين وعلى ذلك تدل شهادة ميلاد هذه المدينة على أنها كنعانية الأصل. وكان بعدئذ الصراع بين سكانها الأصليين أصحاب المدينة الحقيقيين والعبرانيين الذين أرادوا أن يستولوا على المدينة وقام اليبوسيون بتحصين مدينتهم بسور عظيم لصد غارات يوشع بن نون.)[2]

كان لهذه المدينة ملوك على درجة من الوعي والمقدرة والوحدة وهم:

1– ملكي صادق الذي هنأ سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) على انتصاراته في حروبه ضد (كدر لعومر العيلامي) غربي قادش وكان كنعانياً يبوسياً، وكانت القدس

(1) أبو عرفه، عبد الرحمن، القدس، تشكيل جديد للمدينة،، القدس، جمعية الدراسات العربية، 1985، ص 15.

(2) زايد، عبد الحميد، القدس الخالدة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1974، ص 39.

في عهده تسمى (شاليم) واعترافاً بفضله قدم له عشر الغنائم، وهذا الملك كان هو وجماعته من المعتقدين بعبادة التوحيد، ويبدو أنه آمن بدعوة إبراهيم الخليل (عليه السلام) وشاليم كما ذكر هو إله السلام عند الكنعانيين، وأن هذا الاسم ورد في نقش مصري قديم يرجع إلى القرن التاسع عشر ق.م، وذكرت القدس باسم (أور سليم)، ويحدثنا ابن العبري عن تاريخ ذلك الملك فيقول (إن ملكي صادق هو الذي بنى قرية السلام، يبوس سنة ثلاث آلاف ق. م تقريبا ومن هنا جاءت تسميتها باسم أورشا لم، كما أطلق على ملكها ملك السلام) [1].

يؤكد هذه التسمية ما ذكره قاضي القضاة مجير الدين الحنبلي، في كتابه "الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل" فيقول "إن ملكي صادق نزل بأرض بيت المقدس وقطن بكهف من جبالها يتعبد فيه، واشتهر أمره حيث بلغ ملوك الأرض الذين بالقرب من بيت المقدس بالشام، فحضروا إليه، فلما رأوه وسمعوا كلامه، اعتقدوه، وأحبوه حباً شديداً، ودفعوا له مالاً ليعّمر به مدينة القدس، واختطها وعمرها، وسميت يروشالم" [2].

"فإنه مما يثير الاهتمام أن ارتباط اليبوسيين بالقدس، وتأسيسهم لها يرتبط بأول مظاهر الإيمان بوحدانية الله، فقد عرف عن اليبوسيين بأنهم من أوائل الشعوب الموحدة، حيث نشأت لديهم عبادة سميت باسم (آيل عيلون)أي الله العلي، ومارسوا طقوسا معينة تدل على أنهم يولون المدينة مكانة مميزة. " [3]

(ولهذا فإن ملكي صادق هو أول من اختط القدس وبناها، وكان قبل ذلك يسكن هو وقومه الكهوف، وعرفوا بالتقوى وكان محبا للسلام، حتى أطلق عليه ملك السلام، ومن هنا جاء اسم المدينة(سالم)و (شالم). ويعتقد المؤرخون

(1) ابن العبري، مختصر الدول،بيروت، المطبعة الكاثوليكية،1890م،ص 16.

(2) بيضون، عيسى محمد، دليل المسجد الأقصى المبارك، ص 8 .

(3) أبو عرفه، عبد الرحمن، القدس، تشكيل جديد للمدينة، سبق ذكره ص 15.

أن معظم سكان القرى في قضاء القدس يرجعون إلى أصل كنعاني وأن لغتهم الأصلية كانت اللغة الكنعانية) [1].

2- أدوني صادق – ملك العدل: وهو ملك يبوسي آخر، حكم القدس، وقد قتله بنو إسرائيل بقيادة يوشع بن نون في إحدى المعارك ضد السكان الأصليين، وقتل معه ملوك آخرون من حلفائه ويظهر أن المعركة كانت في جوار المغار من أعمال الرملة ضد اليبوسيين، غير أن هذه المدينة ظلت ممتنعة حوالي مائتي سنة على بني إسرائيل محافظة على اسمها الكنعاني، إلى أن تم اقتحامها على يدي النبي داود عام 997 ق.م، فحاصرها، وتسلل جنوده عبر نفق عين سلوان.

3- سالم اليبوسي: وهو من خلفاء ملكي صادق اليبوسي، الذي اشتهر بأنه شيد برجا للدفاع عن المدينة فوق جبل صهيون، [2] وقد جاء في "دليل المسجد الأقصى المبارك" أن اليبوسيين الذين ينحدرون من بطون العرب الأوائل في الجزيرة العربية استولوا على التلال المشرفة على المدينة، وبنوا قلعة حصينة على الرابية الجنوبية الشرقية عرفت باسم (حصن يبوس)، المعروف بأقدم بناء في القدس. [3]

ويعلل الأستاذ(أكرم زعيتر) في كتابه القضية الفلسطينية، هذا الشأن بقوله "...والكنعانيون قبائل، من أهمها اليبوسيون الذين سكنوا القدس وجوارها، وباسمهم دعيت البلاد "أرض كنعان" ولا غرابة فقد، ظلت لهم السيادة من2500 – 1000 ق.م أي نحو1500سنه تقريبا، ومن مدنهم أريحا وبيسان وشكيم (نابلس) ومجدو وجازر، وطالما خضعت مدنهم للغزاة المصريين والبابليين والحثيين، وكذلك كانت مسرحاً للحروب بين

(1) عز الدين، فاروق محمد، القدس تاريخيا وجغرافيا، مكتبة الأنجلو المصرية، 1981م، ص 19.

(2) يوسف، حمد أحمد عبد الله، بيت المقدس من العهد الراشدي وحتى نهاية الدولة الأيوبية، القدس، دائرة الأوقاف الإسلامية، 1982م، ص 2.

(3) بيضون عيسى محمد، دليل المسجد الأقصى المبارك، سبق ذكره، ص 2.

مصر والعمالقة وبين مصر والحثيين، ولا ريب في أن الحروب بين مصر وسوريه، وما كان من انشقاق بين ملك الكنعانيين، قد مهّد للعبرانيين الاستيلاء على البلاد "[1]

القدس العربية

للقدس (أورشليم) أسماء عديدةعرفت بها منذ نشأتها، والأسم هو شهادة ميلاد صاحبه فما من مولود يولد إلا ويقترن به اسمه وتعرف به هويته، فمدلول اسم (يورشاليم)أو (أورشليم) هو أسم ليس عبريا كما استحوذ عليه اليهود وجيَّروه لصالحهم وكأنه أسم عبري محض لا علاقة لغيرهم به والحقيقة أن هذا الإسم يتكون من مقطعين وهما: يورو(أور) وتعني مدينة في جيمع اللغات السامية ومنها اللغة العربية (وشاليم) يعني (إله السلام) لدى الكنعانيين القدماء، فنستدل على أن هذا الإسم ليس عبرياً محضاً، حيث ورد اسمها في أقدم النقوش المصرية القديمة في عهد "سومرت الثالث في القرن التاسع عشر ق. م. (1808ق. م و 1843 ق.م)من الأسرة الثانية عشرة فذكرت المدينة المقدسة تحت أسم (أورشاليم) أي أنها كانت تعرف بهذا الإسم قبل دخول اليهود إليها بمئات السنين.

يرجع سكان فلسطين الأوائل وجوهرتها القدس الشريف، كما هو معروف إلى أصول سامية، والساميون عرب، وقد عزز هذا الرأي الدكتور أحمد سوسه في كتابه: "العرب واليهود في التاريخ"، بقوله "ومن الثابت أن سكان فلسطين الأصليين القدماء وقد كانوا كلهم عربا، هاجروا من جزيرة العرب، إثر الجفاف الذي حلّ بها فعاشوا في وطنهم الجديد كنعان أكثر من ألفي سنة قبل ظهور النبي موسى وأتباعه على مسرح الأحداث،

(1) زعيتر، أكرم، القضية الفلسطينية، ط3، عمان، دار الجليل، للطباعة والنشر والأبحاث الفلسطينية، 1986م، ص 20.

وقد أخذ الموسويون بعد ظهورهم في أرض كنعان بلغة الكنعانيين وثقافتهم وحضارتهم وتقاليدهم."[1]

أيّد هذا الرأي المؤرخ الكبير مصطفى مراد الدباغ قائلا "إن هؤلاء الساميين جميعا طبقات متتابعة من العرب، وإن اختلفت أسماؤهم، وإن بلادهم جزيرة العرب ظلت منذ عصور متناهية في القِدم خاصة بهم، وما دراستنا لتاريخهم إلا دراسة لبعض الأقوام العربية البائدة". [2]

يرى بعض الثقات من المؤرخين الأوروبيين أن العرب والساميين شيءُ واحد.أورد ابن خلدون في مقدمته قائلا "أول ملك في فلسطين في فجر تاريخها كان للعرب."[3]

لا نجانب الصواب إذا اعترفنا حقيقة بأن العرب هم ساميون، ولا أدلّ على ذلك من القول بالحقيقة الراسخة حتى الآن وهي: "أن العرب هم أحد الشعوب السامية، وأن العمالقة من أقدم العرب، أما إن اختلف التفسير في كون الهجرات الأولى من الجزيرة العربية سامية أم عربية فإن التاريخ يثبت وجود قبائل وأقواما من العرب كانت على أرض فلسطين قبل مجيء بني إسرائيل أو العبرانيين إليها وأولها العماليق ."[4]

يدعم هذا الرأي الباحث "حنا الفاخوري" في كتابه، الجامع في تاريخ الأدب العربي القديم "العرب من الشعوب السامية التي استوطنت الجزيرة العربية وآسيا الصغرى إلى الفرات، وكان لهم صِلة الأصل بالعبرانيين والفينيقيين والآراميين والسريان والبابليين والآشوريين وكلهم من أرومة واحدة جانست ما بين لغاتهم وقرَّبت ما بين تكوينهم

(1) سوسه ، أحمد، العرب واليهود في التاريخ، حقائق تاريخية تظهرها المكتشفات الآثارية، بغداد، وزارة الإعلام، مديرية الثقافة العامة، 1973م ص 57.

(2) الدباغ، مصطفى مراد، بلادنا فلسطين، ج10، كفر قرع، دار الهدى، 1991م ص 381.

(3) ابن خلدون، تاريخ ابن خلدون، 10، بيروت، دار الكتب العلمية،1992م .

(4) الحوت، بيان نويهض، فلسطين، القضية، الشعب، الحضارة، بيروت، دار الاستقلال، 1991م، ص 19.

الفزيولوجي والنفسي، والعرب ذوو تاريخ عريق أيضاً ابتدأ حوالي القرن الأربعين قبل الميلاد، وكانوا في نظر عدد كبير من العلماء مصدر موجات كثيرة اندفعت على الأقاليم المجاورة وعرفت بالموجات السامية."[1]

"وهناك ذِكرٌ لشعوبٍ عدةٍ ورد اسمها في الأدب القديم والحديث سكنت القدس، وكان لها صِلة بشكل ما في المدينة، وفي أثناء العصر البرونزي المتوسط كان سكان القدس بوجه الاحتمال من "العموريين" ويمكن استنتاج ذلك من الاسمين اللذين حفظتهما لنا نصوص اللعنة، ومن اسم المدينة نفسها بوصفه عموريا."[2] ولذلك فإن جميع القوانين والطقوس والاحتفالات والأغاني والأمثال الإسرائيلية وما شاكل ذلك مما يتصل بالزراعة، استعيرت من العموريين الكنعانيين الذين كانوا يعيشون في البلاد قبل أن يأتي العبرانيون إليها."[3]

(1) الفاخوري، حنا، الجامع في تاريخ الأدب العربي (الأدب القديم) ط 3 ، بيروت، 1995م ص 7.
(2) فرانكن، هـ ي.
(3) المصدر نفسه.

obeikandl.com

الفصل الثاني

القدس في العهد الفرعوني

خضعت القدس لحكم فراعنة مصر، فقد عثر في تل العمارنة على ألواح تضمنت رسالة من قِبلِ حاكم يبوس وهو (عبد خيبا) إلى تحتمس الأول فرعون مصر سنة 1550.ق.م والتي يطلب فيها المد العسكري لرد شراذم من الرّحل واسمهم الخبيرو، وهم الذين أجمع الباحثون على أنهم العبرانيون، كما أكد ذلك العالم الأثري (بند لبوري) الذي أشرف على الحفريات في تلك المنطقة وذلك ضمن كتابه المشهور (تل العمارنة). إذا كان هذا التاريخ وهو منتصف الألف الثاني ق.م فإن بناء هذه المدينة لا بد وان يكون قبل هذا التاريخ بألف سنة أي من سنة 3000ق.م-00 26 ق.م، ومن بين رسائل تل العمارنة ست رسائل بعث بها (عبد خيبا) في القرن الرابع عشر ق.م إلى فرعون مصر (اخناتون) الذي كانت فلسطين تحت سيادته وهو في هذه الرسائل يشكو قلة عدد الجالية المصرية في المدينة مستغيثا بهذا النداء (لقد أصاب الخراب أراضي الملك، وأنت لا تلبي النداء، الحكام يذبحون، إذا ما وصلت إلينا هذا العام قوات لحفظ الأمن ستكون أراضي الملك في مأمن، وإلا ستسقط البلاد في يد العبيرو)[1]

وقد ورد اسم يبوس(القدس)في الكتابات المصرية الهيروغليفية باسم(يا بثي) وهو تعريف للاسم الكنعاني- ولربما تكون كلمة يابثي هي يابوسي وقد قلب حرف السين إلى شين- ناشد (عبد خيبا) سيده المصري المساعدة، إلاّ أن النتيجة كانت سلبية وبذلك يكون قد تقلص حكم المصرين عن المدينة(القدس) ولم يعد حكم المصرين إليها إلا في أواخر القرن الرابع عشر ق.م في عهد سيتي الأول سنة(1317) ق.م (1301) ق.م كما عثر على

(1) جارودي، رجاء، الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، ط1، القاهرة، دار الغد العربي، 1996م، ص 43.

رسالة أخرى رقمها(287)من (عبد خيبا) إلى فرعون مصر نصها (لقد أرسلت هدايا إلى الملك سيدي تحتمس خمسة آلاف شيكل وثمانية حمالين قوافل للملك.)[1]

وقد أورد الدكتور عبد الحميد زايد في كتابه "القدس الخالدة "قائلاً" أما عن ذكر أورشليم في الوثائق المصرية القديمة فقد جاء في الأثر وهي نصوص تسمى اللعنة (Execration) ما يلي: حاكم أوشاميم اورشاليم (ياقارعامو) وكل توابعه الذين كانوا معه، حاكم أوشاميم (سيتي: عانو)... ثم بدأ الضعف يدب في النفوذ المصري على تلك المنطقة، وانتهز الحكام هذه الفرصة وأعلنوا أنفسهم ملوكاً وأضحت رقابة فرعون غير ثابتة، وقد أفادت أورشليم في هذه الفترة من هذه السيطرة غير المتماسكة، ولكن لم تستمر طويلا وسرعان ما أصبحت هذه المدينة تابعة لسيد جديد من الشمال هم الهكسوس الذين اندفعوا إلى مصر واحتلوها فترة من الزمن بلغت حوالي قرنا ونصف القرن 1720- 1567ق. م [2]

وطّد تحتمس الثالث حكمه على القدس حيث تواصل حكم المصريين لها مدة مائتي عام متعاقبة، وفي عام 1221ق.م توفي رمسيس فخلفه ابنه الثاني (مرنبتاح) الذي شهد خروج بني إسرائيل من مصر الذي ورد في القرآن الكريم، "وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال ءامنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين"[3] صدق الله العظيم.

توطدت العلاقة بين المصريين وسكان القدس فقد تزوج سيدنا سليمان (عليه السلام) ابنة الفرعون المصري شيشاق إثر انقسام المملكة اليهودية (بني إسرائيل) في عهد رحبعام بن سليمان، استغل الفرعون المصري شيشاق الوضع وانقض على القدس

(1) زايد عبد الحميد، القدس الخالدة، سبق ذكره، ص 3.

(2) المصدر نفسه، ص 51.

(3) القرآن الكريم، سورة يونس، آية رقم 90.

وعمل فيها الخراب ثم نهب خزائن الهيكل وأكمل زحفه حتى احتل مجدو[1] على الرغم من امتداد نفوذ المصريين على القدس لمدة طويلة، إلا أنهم لم يحاولوا تصيرها كما فعل الرومان في عهدهم.[2]

لقد كانت القدس منذ تأسيسها محط أنظار الغزاة، وكان بها حكام ولهم اتصالاتهم مع الدول المجاورة، وكما هو الحال في جميع مراحل التاريخ فإننا نجد أن مصر العروبة هي السند لبيت المقدس من أقدم العصور وحتى وقتنا الحاضر.

(1) العارف، عارف العارف، المفصل في تاريخ القدس، ط5، القدس، مكتبة الأندلس، 1999ص6.

(2) يوسف، حمد أحمد عبد الله، القدس، سبق ذكره ص، 3.

obeikandl.com

الفصل الثالث

القدس في عهد داود وسليمان (العهد الإسرائيلي القديم)

يقسم عهد بني إسرائيل إلى ثلاثة عهود وهي عهد القضاة وعهد الملوك وعهد الأنبياء، فبعد خروج موسى من صحراء سيناء توجه بهم إلى الضفة الشرقية من الأردن وجابهوا ما جابهوا مع أهل البلاد التي مروا بها وخاضوا حروبا شرسه معهم، توفى موسى ودفن في جبل نبو بالقرب من مادبا شرقي الأردن وتولى القيادة بعده يوشع بن نون الذي دخل بهم الأرض المقدسة فلسطين"وفي هذه المرحلة تراجعوا في تفكيرهم العقدي، فارتّدوا عن عبادة التوحيد وعادوا لطبيعتهم بالخروج عن الخط السليم فتشبهوا بالكنعانيين أهل البلاد وعبدوا آلهتهم كبعل وعشتروت.

كانت هذه الفترة تسمى بعهد القضاة حيث كانوا في حالة بدوية، وعصبيتهم تتجه نحو القبيلة، واستمروا كذلك إلى سنة 1400 ق.م حين ظهر فيهم زعيم وحّد قبائلهم وجمعها تحت راية واحدة، وقبض بيده على زمام الحكم وكان بذلك أول ملك في بني إسرائيل وقد عرف في التاريخ اليهودي باسم (شاؤل) وسماه القرآن (طالوت)[1]

كان الفلسطينيون أصحاب البلاد، أصحاب سطوة وقوة، لم يستطع بنو إسرائيل الوقوف أمامهم في ميادين القتال وكان على رأسهم فائدهم الجبار جوليات الفلسطيني، الذي اشتهر بضخامة جسمه، فوقف أمامه شاؤل، حيث أراد أن يختبر جيشه ليميز المطيع من العاصي، وقد ورد ذلك في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿ فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِٱلْجُنُودِ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ مُبْتَلِيكُم بِنَهَرٍ فَمَن شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَن لَّمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُۥ مِنِّيٓ إِلَّا مَنِ ٱغْتَرَفَ غُرْفَةًۢ بِيَدِهِۦ فَشَرِبُوا۟ مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُۥ هُوَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ قَالُوا۟ لَا طَاقَةَ لَنَا

(1) طباره، عفيف عبد الفتاح، مع الأنبياء في القرآن الكريم، ط11، بيروت، دار العلم للملايين، 1982، ص 273.

ٱلْيَوْمَ بِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ ٱللَّهِ كَم مِّن فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَلَمَّا بَرَزُوا۟ لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِۦ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٥٠﴾ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ (1)

هذه مجريات الصراع في هذه البلاد (فلسطين) على ارض المعركة بين الفلسطينيين بقيادة ملكهم الجبار جوليات وطالوت ملك بني إسرائيل الذي تراجع أمام الفلسطينيين، ولولا أن قيّض الله داود بن يسي الذي التحق بإخوته للبحث عنهم بأرض المعركة لانقلبت موازين القوى، فأخذ داود حجراً ورماه بمقلاعه مما أدى إلى قتل جالوت، فكانت النتيجة أن الهزيمة كانت بإذن الله، وليس بالبطولات والتضحيات التي يقدمها بنو إسرائيل في الحرب أمام الفلسطينيين، وأن الله قد منّ عليه وهو من سلالة إبراهيم الخليل (عليه السلام) بالمُلك والحكمة، وأهداه طالوت ابنته لقاء صنيعه هذا، فأصبح ملكا على بني إسرائيل، وقد تنكّر له طالوت (شاؤول) وحاول اغتياله أكثر من ست مرات.

جمّع الفلسطينيون صفوفهم وانقضوا علي بني إسرائيل فانهزم طالوت وانحنى على سيفه وانتحر، بعد أن رأى أبنائه الثلاثة قتلوا في المعركة، فعلّق الفلسطينيون رأسه على أسوار بيسان.

نستدل بهذا أن الفلسطينيين كانوا قبل مجيء بني إسرائيل، وكان لهم ملك وسطوة ونفوذ لم يجرؤ بنو إسرائيل الوقوف أمامهم، وكانت لهم مدن عامرة مثل بيسان وغيرها تحرسها أسوار عالية.

لم تتوقف الحرب يوما بين الفلسطينيين أهل البلاد الأصليين الذين وجدوا فيها، وبني إسرائيل الغزاة ولو للحظة واحدة، فكانت الحرب متواصلة تقريبا على مر الزمن،

(1) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية249– 251.

وكانت الغلبة للفلسطينيين في أغلب الأحيان، حتى أنهم اخذوا منهم تابوت العهد والجأوهم إلى الجبال.

بعد مقتل طالوت خلا الجو إلى داود فأصبح رئيسا على بني إسرائيل، وتوّج ملكا في الخليل، لمدة سبع سنوات وستة أشهر. ولم يتمكن من الوصول إلى القدس لحصانة أسوارها وبسالة أهلها.

(كانت هناك محاولات سابقة للاستيلاء على القدس في عهد ملكهم يهوذا، حيث أعملوا سيوفهم قتلا في أهلها وأشعلوا النيران بها إلا أن اليبوسيين استبسلوا في الدفاع عن عاصمتهم.

القدس العربية تتصدى للإسرائيليين

"ولكي نشير إلى ذلك المستوى من العنصرية الرهيبة الذي أسفّ إليه المؤرخون بفعل الاستغلال السياسي للتوراة، نكتفي بذكر واحد من أبرز المؤرخين، إنه الأمريكي (وليم فوكس ويل أولبرايت) في كتابه (التوحيد وتطوره من العصر الحجري إلى المسيحية) فهو يبرر عمليات الإبادة المقدسة عند اجتياح أرض كنعان لينتقل بعدئذ إلى المرحلة التي كان فيها الغزاة يكتفون بطرد سكان البلاد الأصليين، [1] وقد ورد في سفر القضاة من التوراة ما يلي: (حارب أبناء يهوذا أورشليم وأخذوها وخربوها بحد السيف وأشعلوا النار في المدينة)[2] أما في سفر يشوع فنقرأ ما يلي: (إن الله الحي في وسطكم وطردا يطرد من أمامكم الكنعانيين)[3] وفي سفر الخروج قوله (فتطرد الحويين والكنعانيين والحثيين من أمامك...)[4] .

---

(1) جارودي، سبق ذكره، ص 37.

(2) سفر القضاة، إصحاح 1/ 9.

(3) سفر يشوع، إصحاح 3/ 10 .

(4) سفر خروج، إصحاح، 23/ 33.

فما أشبه اليوم بالبارحة حيث أن سكان فلسطين قد هوجموا وأبيدوا وأخرجوا من ديارهم وهذا جزء من العقيدة اليهودية المتطرفة التي ترى في هذا الأسلوب الحل الأمثل.

وقد وصف برستد ذلك الخسران بقوله " حين دخل العبرانيون فلسطين وجدوا فيها الكنعانيين (العرب) يقيمون في مدن زاهرة تطوقها الأسوار الضخمة، فلم يستطيعوا أن يفتحوا منها إلا المدن الضعيفة... حتى القدس هزأت بحملات مهاجميها العبرانيين بضعة قرون".....

قاموا بحملة ثانية عليها، إلا أنهم لم يتمكنوا من فتحها جميعها مرة واحدة، وإنما احتلوا " المدينة السفلى " أولاً، وحالت أسوار "المدينة العليا " دون تحقيق أهدافهم فاضطروا للتوجه نحو الخليل.

لم يتمكن الإسرائيليون من اقتحامها إلا في عهد داود حيث طوقها واستولى عليها." [1] وكان اسمها يبوس فسكن بنو بنيامين مع اليبوسيين، ولما استولى عليها داود أعاد اسمها القديم (أورشليم)، واتخذها عاصمة له ونقل لها التابوت. [2]

هذه القدس الشامخة بأهلها الذين حافظوا على وجودهم فيها على مر العصور، رغم شدة الهجمات، لكن بسالة المقاومة حالت دون الوصول أو التمكن منها مما ثبّت أهلها، وبقوا محافظين على وجودهم فيها حتى هذه الأيام، رغم ما تتعرض له من محاولات تسفير أو بطش أو تدمير.

أجمع عدد من الثقات على أن الدخول إلى أرض فلسطين، لم يكن اجتياحا عسكرياً سهلاً، بل كان تسللاً، ويقف على رأس هؤلاء المفكرين الفيلسوف روجيه جارودي في كتابه "فلسطين ارض الرسالات" والدكتور محمد عبد الوهاب الميسيري في موسوعته (فبعد خروج العبرانيين من مصر حركة هجرة تمكن رؤيتها في إطار حركة طرد من مصر

---

(1) برستد – العصور القديمة، ترجمة داود قربان، ص 155، المطبعة الأمريكية، بيروت، 1926م
وكذلك Kenyon, Arch, in the holy land p.207

(2) شلبي، أحمد، مقارنة الأديان، ص 83.

وجذب من كنعان وتشير بعض المراجع استنادا إلى الرواية التوراتية إلى هذه الهجرة باعتبارها حركة (غزو)عسكرية، ونحن نفضل استخدام اصطلاح (تسلل) لوصف هذه العملية التاريخية الطويلة التي لم تتم عن طريق معركة أو عدة معارك عسكرية حاسمة وإنما عن طريق التسلل والتجسسوالتزاوج والاندماج وأحياناً الغزو، وقد كان العبرانيون قبائل بدائية حينما خرجوا من مصر وعبروا سيناء ووصلوا إلى مشارف أرض كنعان، ولذلك لم يكن في مقدورهم غزو هذه الأرض والاستيلاء عليها، ولم يكن أمامهم سوى التسلل التدريجي فيها، وقد كانت عملية طويلة استمرت ما بين 1250–1200 ق. م وما كان هذا التسلل أن ينجح لولا تصاقب عدة عوامل تاريخية واجتماعية وسياسية، لعل أهمها كان الغياب المؤقت للإمبراطورية العظمى في تلك المرحلة، فالإمبراطورية الحيثية في الشمال قد انهارت والآشورية لم تصبح قوية بعد، أما في كنعان ذاتها فقد كانت المدن والدول الكنعانية قد أحرزت تقدماً حضارياً ملحوظاً، ويرجح أن السبب في أن الإسرائيليين قد أخذوا بلغة وحضارة وحتى بديانة الكنعانيين يعود إلى كونها جماعة بدائية تفتقر إلى أدنى المقومات الحضارية.[1]

ارتكب يشوع بن نون وبنو إسرائيل، خطأً فادحاً في فعلتهم هذه في مدينة أريحا بحق أنفسهم من الناحية الحربية، وتمثل ذلك من خلال الخوف، وعدم الثقة الذي حل بأهل فلسطين حينما سمعوا بخبر أريحا، فعقدوا العزم على القتال حتى الموت، مما أدى بجميع الممالك الفلسطينية على التكتل والتحالف ضد هذا الغزو الوحشي الذي لم تحدثنا المصادر على مثيل له في العالم القديم عند سائر الخلق والأقوام من الساميين أو من غيرهم، ولنستمع للعهد القديم يحدثنا بإخبار هذه الأحلاف التي كان مركزها ومحورها مملكة القدس والداعية لها ملكها، (فلما سمع أدوني صادق ملك أورشليم أن يشوع قد أخذ عاي وحرمها كما فعل بأريحا وملكها...خاف جدا... فأرسل أدوني صادق ملك أورشليم على هوهام ملك حبرون وفرام ملك يرموث ويافع ملك لخيش ودبير ملك

(1) المسيري، موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية، سبق ذكره،ص 14.

عجلون يقول (اصعدوا إليّ وأعينوني فنضرب جبعون * لأنها صالحت يشوع وبني إسرائيل) [1].

لقد اتحدت هذه الممالك الفلسطينية الخمس، وكانت تحت إمرة القيادة العربية المقدسية، وصمدت ببسالة أمام الزحف الإسرائيلي، وأن بني إسرائيل قد عملوا الشر في عيني الرب بارتكابهم النهب والسلب والفظائع في ممالك الفلسطينيين، فعاقبهم الله شر عقاب على سوء فعالهم، وأن المقاومة الشرسة التي بذلها أبناء بيت المقدس أمام الهجمات الإسرائيلية لم يمكنهم من الاستيلاء عليها قرونا طويلة، وهذا ما ورد في التوراة: (فلم يرد الرجل أن يبيت بل قام وذهب وجاء إلى مقابل يبوس، هي أورشليم ومعه حماران مشدودان وسريته معه، وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر جداً قال الغلام لسيده، تعال نميل إلى مدينة اليبوسيين هذه ونبيت فيها، فقال له سيده، لا نميل إلى مدينة غريبة حيث ليس أحد من بني إسرائيل هنا نعبر إلى جبعه) [2].

هذه المرحلة التاريخية الهامة من تاريخ النضال الذي وقفه أبناء القدس أمام الغزو الإسرائيلي، والذي استمر مئات السنين، فلم يتمكن الإسرائيليون من الهيمنة على القدس، وبقي أهلها فيها يقارعون المحتل، ولم يتمكنوا من الدخول إليها، حتى أنه لم يكن ساكن فيها ولا أي شخص من بني إسرائيل، وهذا دليل صراحة على فراغها منهم، بل لجأ الرجل وغلامه إلى جبعه حيث صالحت بني إسرائيل.

لم يتمكن الإسرائيليون من السيطرة على بلاد فلسطين، ولم يدخلوا القدس ولم يتمكنوا من الاستيلاء عليها إطلاقا. بل بقي الصراع محتدماً وبقيت القدس صامدة في وجوههم وبقيت المدن الفلسطينية الساحلية صامدة، وكان شمال فلسطين تحت سيطرة أهله الفلسطينيين ولم يجرؤ بنو إسرائيل السيطرة على هذه المواقع، بل أنهم كانوا أمة بدائية ليس لهم من الحضارة نصيب، وكان وجودهم في المناطق العليا من فلسطين أشبه

(1) سفر يشوع، إصحاح، 10/ 34.

(2) سفر القضاة، إصحاح 19/ 15.

بالمستوطنات، حيث قام صموئيل بتتويج شاؤول ملكا على بني إسرائيل، وقد انهزم أمام الفلسطينيين في شمال فلسطين، وقد قتل أولاده الثلاثة وانتحر بحد سيفه، تصدى لهم جوليات الفلسطيني وهزمهم شر هزائم إلى أن قيّض الله لهم فارساً شجاعاً من بيت النبوة ألا وهو داود بن يسي (عليه السلام) قوله تعالى: ﴿وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [1].

نستدل بهذه المعلومات القيمة على أن بني إسرائيل لم يدخلوا القدس إطلاقا منذ دخولهم ديار فلسطين بل بقيت هذه المدينة بسكانها عصيّة عليهم.

القدس قبل عهد داود

كان سكان القدس من الكنعانيين، وربما أمكن القول أنهم كانوا من الرعاة المتواضعين الذين كانوا يقطنون في خيام، أو في أكواخ حول (ينبوع العذراء) وأنهم لم يكونوا في باديْ أمرهم في حاجة إلى دفاع طبيعي أو صناعي ولكنهم بمرور الوقت سرعان ما تضطرهم الظروف إلى تشييد مكان بأعلى التل فوق ينبوع العذراء، وكان بمثابة موقع دفاعي على الأودية المنحدرة من كل الجهات باستثناء الجهة الشمالية التي حفروا فيها خندقا يمتد عبر التل من فوق قدرون إلى التريبيون وقد كشف عنه في يناير عام 1924م(ستيوارت ماكالستر) أثناء الحفريات التي قام بها بالاشتراك مع بعثة (مؤسسة الحفائر الفلسطينية)وصحيفة (الديلي تلغراف) ويدل الفخار الذي عثر عليه هناك، أنه لا يمكن أن يؤرخ بعد عام 2200. ق. م وربما أقدم من ذلك بكثير. [2]

حوالي عام 1500 ق. م اتسعت المدينة وانضم الخندق إليها في بعض الأماكن بحوالي عشرين قدما، ثم طمس هذا الخندق على مر الزمن وتضعضع السوق الخارجي.

---

(1) القرآن الكريم، سورة البقرة آية 25.

(2) مهران، محمد،بنو إسرائيل سبق ذكره ص 741.

تدل الاكتشافات الحديثة على أن المدينة (يبوس) التي استولى عليها داود كانت أكبر بكثير مما كان يظن من قبل وأنها كانت محاطة بسورٍ كبيرٍ وسميكٍ جداً، وأن داود قام بترميمه وإكماله.

حوالي سنة 1200ق. م بني سور آخر بسمك 20 بوصة وكانت المدينة المسّورة صغيرةٌ جداً، طولها 1250 قدماً وعرضها 400 قدماً، فكانت المنازل ضيقة والشوارع تحشر ومنحنية [1]

تقدم التوراة في هذه الفترة شخصية ملكي صادق، والذي وصف بأنه "ملك شالم" وأنه كان كاهنا لله العلي، وأنه قد بارك إبراهيم الخليل (عليه السلام) وقال: (مبارك من الله ألعلي مالك السماوات والأرض) مما يدل على أن المدينة كانت مباركة من الله العلي منذ الأزمنة القديمة التي تعود إلى عصر ما قبل إبراهيم الخليل (عليه السلام) غير أن التوراة لم تقدم لنا أية معلوما ت طبوغرافية عن المدينة يمكن الإفادة منها، كان لابد لنا من وقفة هنا في هذا المجال للدلالة على اسم ملكي صادق خلال هذه الفترة واقترانه بالرسول الأكرم إبراهيم الخليل.

هاجر إبراهيم الخليل من (أور) العراق في القرن التاسع عشر ق.م، وأن فترة خروج بني إسرائيل من مصر كانت حوالي1200 ق.م، وهناك فارق زمني شاسع بين هاتين الفترتين.

كانت حياة سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) في أكناف فلسطين، فانتقل إليها من العراق فسوريا فمصر فالديار الحجازية، وكان داعية التوحيد، وكان خروج أبناء يعقوب إلى مصر ومكوثهم فيها مئات السنين وخروج بني إسرائيل من مصر إلى بلاد فلسطين في حوالي 1215ق. م.

هذا يعني أن هناك سلالة عائلية كانت تكنى بهذا الاسم (ملكي صادق) [1] للتبرك به، ولبركة مدينة القدس، وأن حكامها اليبوسيون كانوا على مستوى من الإيمان

(1) نفس المصدر، ص، 743.

وإتبّاع ملّة التوحيد، أي أن هذا الاسم من سلالة الصديقين الذين عاشوا وحكموا هذه المدينة المقدسة.

توجه داود لأورشليم (القدس)

من المعلوم أن داود قد خاض حروباً كثيرةً وواجه صراعاً داخلياً كبيراً وتعرض للعديد من الدسائس والمؤامرات من أجل القضاء عليه من قبل (شاؤول) وأعوانه، لأنه حسن في أعين بني إسرائيل، وأصبح مقدماً عندهم على (شاؤول) وأصبح له رجاله الذين تفانوا في خدمته وكانوا حرسه الشخصي، وذراعه القوية التي استطاع بها أن يدّوخ أعداءه حيث أصبح في عيون بني إسرائيل بطلاً قومياً، فالتجأ عند الفلسطينيين واتخذ من مدينة صقلع في منطقة الخليل مركزاً له، ثم توجه بعدئذ إلى حبرون (الخليل) واتخذها قاعدة له، واستلم زمام الأمور على الأسباط الإسرائيلية في هذه المرحلة المبكّرة في هذه المدينة، علماً بأنها لم تخل من سكانها الأصليين وحكم في هذه المدينة لمدة سبع سنوات ونصف وأخذت طموحه يتوسع لحكم بني إسرائيل الذين كانوا مشتتين ومرهقين من شدة الحروب التي خاضوها ضد الفلسطينيين، حيث كان معظم هذه الحروب لصالح الفلسطينيين عِلماً بأنهم كانوا في أوطانهم يدافعون عن وجودهم وكانوا يعتبرون بني إسرائيل غزاة وعالة على بلادهم ولم يتعايشوا معهم أو ينسجموا في حياتهم العادية بل ظل الصراع محتدماً بين الفريقين.

بعد أن استقر المقام لداود الذي كان في ريعان الشباب وقبل أن يبلغ مرحلة النبوة في حبرون ذات الاسم الكنعاني القديم أخذ يفكّر في ترك هذه المدينة ليتوجه إلى القدس،

---

(1) اسم ملكي صادق، بتكون من مقطعين، ملك وصادق، أي عظيم ومقدس، بقي هذا الإسم ملاصقا لتاريخ أورشليم، ففي أيام داود كان هناك فئة الصدوقيين، وهم مميزون من اللاويين، كما إن اسم ملكي صادق كان يشكل جزءا من اسم حكام أورشليم من الكهنة مما يدل على أهمية المدينة قبل العهد اليهودي، لأن عجز الكلمة يدل على الصدق والصلاح والاستقامة، وفي عهد يشوع كان ملك أورشليم يدعى أدوني صادق.

ويعلل السيد محمد بيومي مهران في كتابه (بنو إسرائيل) باتخاذه القدس عاصمة له للأسباب التالية:

أولا: إن حبرون قد تشكل مركزا طبيعياً بالنسبة للملكة يهودا، ولكنها لن تكون كذلك بالنسبة إلى مملكة إسرائيل ويهوذا معا، فهي في نقطة بعيدة في الجنوب.

ثانيا: إن داود كان ملك ليهوذا في حبرون وقبائل إسرائيل لن ترضى أن يحكمها ملك يهوذا، وإنما داود الذي اختاروه بأنفسهم ملكاً على إسرائيل، وأن بقائه في حبرون سوف يجرّ عليه خطر الظهور في صورة ملك قبلي.

ثالثا: كان عليه أن يتجنب ما وقع فيه شاؤل من قبل حينما اختار (جبعه) كعاصمة لمملكته.

وهذا يعني أن بني إسرائيل لم يكن لهم أدنى توجه أصلاُ نحو القدس، بل أنها كانت بعيدة عن توجههم إليها، سواء في عهد شاؤول، أو من كانوا قبله من بني إسرائيل.

أما اختياره مدينة القدس في سبط بنيامين أو افرايم، فإن ذلك سيجر عليه غضب اليهود الذين اختاروه ملكاً عليهم.

إنه لم يختر عاصمة له في بيت لحم مسقط رأسه أو حبرون حتى لا يغضب قبائل بني إسرائيل، ولا في واحدة من قبائل إسرائيل، حتى لا يغضب قومه من بني يهوذا. وبهذه الحيادية استطاع أن يجمع بني إسرائيل في نقطة التقاء واحدة بحيث أن موقفه كان إرضاء لقبائل بني إسرائيل، واتخذ أورشليم عاصمة لمملكته للأسباب التالية:

أولا: تعتبر القدس في نظر الشمال والجنوب منطقة محايدة، وأن أورشليم لم تشترك في الحروب التي اندلعت بين قبائل بني إسرائيل بين مملكة إيشبعل الإسرائيلية، ومملكة داود اليهودية.

ثانيا: إن سكان أورشليم لم يكونوا يهودا أو إسرائيليين:وهذا أمر هام: بل إنهم كانوا يبوسيين كنعانيين، وليسوا يبوسيين حثيين أو حوريين كما زعم

بعض الباحثين، فكان لا بد من الإبقاء على سكان أورشليم اليبوسيين فيها، وإبقائهم على دينهم وشعائرهم الكنعانية الصرفة، حتى ما كان منها مخالفا لدين يهوه وطقوسه.

ثالثا: لقرب أورشليم من ديار سبط يهوذا.

رابعا: لم تكن القدس مدينة صغيرة بل كانت واحدة من أقدم المدن الملكية في البلاد، فكانت وعرة المسالك من الشرق والغرب، وكان اليبوسيون يفاخرون بأن الأعمى والأعرج يدافع عنها.

خامسا: وقوعها بين القبائل الفلسطينية الكنعانية قديماً أكثر ميلا للمسالمة من أهل الشمال.

كيف تم الغزو الداودي لأورشليم

لقد كانت دعوة داود لقائده (يوآب) باقتحام أورشليم (القدس) حماية، وكان فيها من الإغراء من داود ما دفعه إلى تجميع قواه والانقضاض برجاله لينال المكافأة السخية لمن يدخل المدينة أولا، ويقتل اليبوسيين، فأسرع هذا القائد بحماس رجاله إلى اقتحام المدينة التي عجز السابقون من أسلافه على اجتيازها من عهد يشوع بن نون، حيث كانوا يهاجمونها لكنهم لم يستطيعوا اقتحامها لشدة بأس أهلها ورباطة جأشهم ودفاعهم المستميت الذي استمر مئات السنين أمام بني إسرائيل.

استطاع بنو إسرائيل الدخول إلى هذه المدينة اليبوسية عن طريق قناة مائية تجري تحت الأرض توصل إلى عمق المدينة، وكانت هذه القناة قد حفرها السكان الأصليون اليبوسيون الكنعانيون، لتصل إلى جبل صهيون لإيصال المياه إليها.

اكتشف المنقب (شارل ورن) هذه القناة، وهي على هيئة سرداب يبلغ طوله 50 قدماً، يمتد من عين العذراء إلى كهف منخفض وفي نهاية هذا الكهف حفرة رأسية يندفع منها الماء لتصل إلى سطح من الحجر، وهناك سرداب آخر يمتد بانحدار إلى أن يصل داخل

أسوار القلعة، لتوفير الماء أيام الحصار إلى هذه المدينة. وتم اكتشاف هذا النفق واستطاعوا التسلل إليه بأحد العوامل التالية:

أولا: طريق المفاجأة.

ثانيا: بطريقة التسلل بوساطة أحد السكان المحليين، ومهما يكن فقد تم اقتحام المدينة، وليس هذا سراً أو بحاجة إلى عناء كبير، بل هو أمر ميسور في بلد دارت حوله وفي أكنافة وعلى أطرافه معارك شرسة منذ أزمنة إلى أن تم ذلك.

ثالثا: ربما استطاع الإسرائيليون الوصول إلى قلب المدينة، بعد معركة شرسة استولوا خلالها على جزءٍ من أسوار المدينة وتسلقوا عليها.

رابعا: استطاع المهاجمون الوصول للماء لقطع الإمدادات عن المدينة مما أهلّهم إلى اقتحامها.

(فمهما يكن من أمر وتعدد للآراء)، فالنتيجة واحدة، ألا وهي اقتحام المدينة وإعمال السيف في أهلها، وهذا النموذج الحربي ليس غريباً على هؤلاء القوم الذين ما دخلوا قرية أو مدينة أو تجمعاً إلا وأعملوا فيه السيف، وعلى حد رأيهم (حرموه) أي ذبحوا أهله وأبادوهم وهجّروهم عن ديارهم، ولنا في تاريخنا الفلسطيني المعاصر أسوة في هذا النهج الذي ابتدعوه. وبذلك استولوا على هذه المدينة التي كانت حائلا دون تواصل بني إسرائيل شمالا وجنوبا ببعضهم، وحيث تم لهم اجتيازها، فسرعان ما غيّر داود اسمها وأصبحت باسم (مدينة داود) وأصبح حاكماً عليها وسكنوا بجانب البوسيين وانتقل إليها داود وحاشيته.

استطاع داود أن يجعل دار الحكومة في جبل صهيون، حيث أن هذا الاسم يبوسي كنعاني كان معروفا قبل اقتحامها، فأصبحت صهيون مقر السلطة الدينية والمدنية والسياسية والعسكرية، إلى أن أصبح هذا الاسم (صهيون) سحراً في أذهان اليهود وقد استغلوه وبنوا عليه أمجاداً وخيالات هائلة، واعتبروه رمزاً لإعادة أمجادهم في هذه المدينة العربية.

اتخذ داود من هذه المدينة أيام حكمه مركزاً دينياً وسياسياً له فيها، ونقل إليها تابوت العهد الذي كان يتنقل مع القبائل الإسرائيلية في خيمة العهد. فجبل صهيون الذي ورد ذكره في الكتاب المقدس (التوراة) المحرّفة، فقد حرّفوا مكانه أيضاً، كما يحرّفون ما هو فيه، حيث أنه يقع إلى الشرق من موقعه الحالي، الذي يحمل نفس الاسم، وفي هذا المكان كان منزل داود، وكذلك أقيم المعبد، وكان من نتاج حفريات عام 1967م أنَّ المدينة كانت تمتد على المنحدرات الشرقية في اتجاه واد قدرون، وأما الكهنة الذين كانوا موظفين ملكيين فان البعض منهم كان من أبناء داود نفسه.

كان أول فوز عبراني في شرق الأردن على سيحون ملك الأموريين، وتبعه فوز آخر على عوج الملك الجبار ملك باشان ولم تسقط بيت شان وأورشليم إلا حوالي 1000 ق. م[1].

القدس في عهد سليمان(عليه السلام)

لم يكن سليمان الابن الوحيد لداود (عليهما السلام) بيد أن الله اختاره ليكون هو خليفته، فكان دوره تكميلياً وإصلاحاً داخلياً وترتيباً عمرانياً ونظاماً جديداً، فقام بإصلاح الأسوار، وكان من أبرز إنجازاته في المدينة المقدسة، هو بناء القصر والمعبد.

كما انه صاهر فرعون مصر (شيشنق).فنحن المسلمين ننظر إلى داود وسلميان (عليهما السلام) نظرة إسلامية محضة، لا نفرق بينهم وبين الأنبياء والمرسلين الآخرين، حيث ورد ذكرهم في القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2].

(1) شريده وغوراني، الطائفة السامرية، نابلس، 1994م ص، 2.

(2) القرآن الكريم، سورة البقرة، آية رقم 285.

فالقصص القرآني وكتب الأحاديث والسير والتاريخ الإسلامي جلّها، يركز على سيدنا سليمان نبياً ورسولاً صالحاً ولم يذكر قصة الهيكل أو المعبد الذي أنشيْ في بيت المقدس بهذه الهالة من التبجيل والمبالغة فيه، وإنما نستدل على أن هذا الصرح الذي يذكره التوراتيون ما هو إلا من نسج خيالهم، فالمبالغة الواردة في هذا البناء لها أهداف سياسية أبعد من واقعها العملي.

فكرة بناء المعبد (الهيكل)

"الهيكل:كلمة يقابلها في العبرية (بيت همقداش)أي بيت المقدس أو (هيخال) وهي كلمة تعني (البيت الكبير)في كثير من اللغات السامية (الأكادية والكنعانية وغيرها)والبيت الكبيرأو العظيم"[1]

هناك خيال صهيوني واسع حول فكرة بناء الهيكل، استطاع مؤلفو العهد القديم الترويج لهذا البناء، لإقناع العالم بأن هذا الشأن له جذور في العقيدة اليهودية، مرتبط ذلك بموسى، وكيف أنه كسّر الألواح عندما عاد إلى بني إسرائيل بعد غياب أربعين يوما. هذا العمل قرّب بناء المعبد، فعند نزول سيدنا موسى (عليه السلام) ثانية مع اللوحين الجديدين، طلب من شعبه أن يحضروا له التبرعات من الذهب والفضة لبناء (القدس)، أو دار المسكن (مشكان)، أو خيمة الاجتماع، فأحضر الشعب التبرعات وبنوا خيمة الاجتماع وكان ذلك في شهر نيسان.

أخذ موسى الخيمة ونصبها له خارج المحلة ودعاها خيمة الاجتماع، التي كانت عبارة عن معبد متنقل أقيم في وسط معسكر بني إسرائيل عند خروجهم من مصر، وتنقلهم في الصحراء، وقد ورد في التوراة: (فيصنعون لي مقدساً لأسكن في وسطهم).[2] ولقد تم تفكيكه وتركيبه حوالي 30 مرة،

(1) المسيري، موسوعة اليهود اليهودية والصهيونية، سبق ذكره ص 159.

(2) سفر الخروج، إصحاح 25/ 8.

حتى وصولهم إلى نهر الأردن مقابل أريحا)[1] فلم تعد أكثر من خيمة من الجلد متنقلة يوضع بداخلها الأدوات المقدسة من عهد موسى.

اشترى داود (عليه السلام) الأرض التي بنى عليها المعبد من أرونا اليبوسي ومن الصعب الوصول إلى وصف دقيق للهيكل، وذلك لكثرة ما شابه من الخلط والمبالغات والصورالخياليةالتي تفوق العقل البشري، وهيكل سليمان كما يدعى الفكر الصهيوني جزء من مركب معماري ملكي يضم قصر الملك ومباني أخرى، وله أوصاف وقياسات تختلف بين الحين والآخر، ومن فكر صهيوني لآخر لكثرة ما نسج حوله من مبالغات هائلة، ومهما قيل عنه من خيالات فهو لايختلف في تقسيمه الثلاثي (المدخل، والهيكل أو البهو المقدس، وقدس الأقداس) عن الهياكل الكنعانية وهو ليس الطراز الأول والأخير من هذا النسيج، ولم يكن بدعا من صنع البشر، بل عثر في مواقع عدة على نفس الطراز، في سوريا ومصر وفلسطين وكذلك بالنسبة إلى معبد(شيلو) وهذا يؤكد على أن هناك معبدان (مصريان –كنعانيان) في بيت شان يرجعان إلى الفترتين بين القرنين 14–12 ق. م كانا لهما نفس المحراب.

هذا فضلا عن أن هناك كثيراً من المعابد التي ترجع إلى العصور الهلنسية والرومانية لها محراب من هذا النوع، توجد في الشرق و الغرب، وكان للمعبد الطابعين المصري والبابلي.[2]

وقد كان العبرانيون يعتبرون أن الهيكل من عجائب الدنيا، لكن هذا راجع إلى جهلهم بأن هناك معابد مصرية وآشورية عجيبة في ضخامتها، كما أنهم لم يكونوا هم البناة لهذا الهيكل، وذلك لحياتهم البدوية المتنقلة، وعدم استقرارهم، وصراعهم مع أهل البلاد الفلسطينيين، ولم يدركوا فنون الهندسة، والعمارة، نظراً لعدم وجود تقاليد حضارية

(1) مصالحة، محمود، المسجد الأقصى المبارك وهيكل بني إسرائيل، القدس، مطبعة النهضة، الناصرة، 1997م، ص، 95.

(2) الحوت، بيان نويهض، فلسطين، مصدر سابق، ص 39.

لديهم على خلاف البلاد المجاورة لهم كمصر، وبعض البلاد المجاورة الأخرى، فلما شرع في هذا البناء، كان البناءون والمهندسون من غير هؤلاء الأقوام.

كما أن المؤرخ (فيليب حتّي) يعلل في كتابه "لبنان في التاريخ" قضية بناء هذا الهيكل الذي راجت حوله الخيالات الواسعة فيقول (وقصر سليمان من صنع البنائين الفينيقيين الذين استعملوا خشب الأرز في بنائه، وقد كان في هذا القصر من أعمدة خشب الأرز ما جعله يعرف "ببيت وعر لبنان".

كان الهيكل الذي بناه أكثر أهمية من الناحية القومية، وقد بُني هيكل سليمان ليكون معبداً ملكياً ملحقاً بالقصر[1]. وعلى الرغم من أنه لم يقم بأية حرب، قام ببناء الإسطبلات الواسعة في(مجدو) لخيول عربات القتال ليعرضها في المهرجانات الاستعراضية". [2]

نستدل مما تقدم أن هيكل سليمان لم يكن إلا بعقول كنعانية، وأصول غير عبرية، وأن ما فيه مستوحى من الأمم الأخرى وشيد بأيدٍ غريبة !!!.

وفي منتصف القرن الثاني قبل الميلاد، كانت هناك نهاية مأساوية للمعبد، حيث هاجمه المصريون والآشوريون إلى أن انتهى وجوده، وتمت إزالته على يدي نبوخذ نصر عام 586 ق.م.

(1) حتي، فيليب، ترجمة الدكتور، أنيس فريحه، مراجعة الدكتور نقولا زياده، "لبنان في التاريخ،منذ أقدم العصور التاريخية إلى عصرنا الحاضر، 1956م، ص129.

(2) جارودي، روجيه، سبق ذكره، ص 75.

obeikandl.com

الهياكل التي بنيت على غرار هيكل سليمان

لقد تم بناء عدة هياكل على غرار هيكل سليمان وهي:

1. هيكل زرو بابل: [1] بني بين عامي520– 515 ق: م أي خلال أربعة أعوام أعيد بناء الهيكل الثاني أي هيكل زروبابل حيث سمح الإمبراطور الفارسي كورش لمن يرغب من اليهود بمغادرة بلاده
2. هيكل هيرود (الهيكل الثاني): بناه الملك هيرود 27–4 ق. عينه الرومان حاكما على البلاد ومات قبل أن يكمل بنائه واستمر البناء حتى عهد جريبا الثاني سنة (64) م فهدم في العهد الروماني على يدي تيتوس سنة 70 م وأوصاف تختلف عن الأوصاف التي وردت في كتب المدراش. [2]
3. هيكل أونياس: فر الكاهن أونياس الرابع وجنوده إلى مصر فأصبحوا مرتزقة للمصريين، وشيدوا هيكلا بإيعاز من البطالمة أي في عصر بطليموس السادس سنة (181–145 ق.م) .

من المعلوم أن هيكل سليمان قد أصابه الخراب والدمار وانقرض عن وجه البسيطة وكان ذلك على يدي نبو خنصر عام 586 ق. م. [3]

رغم أن عالم الآثار "إسرائيل فلنكشتاين" Israel Flankshtain يؤكد بأن علماء الآثار اليهود لم يعثروا على أية شواهد أثرية أو تاريخية تدعم القصص الواردة في التوراة،

---

(1) – كلمة هيكل(Hchulla)التي أتت مباشرة من السومرية (e- gal)تعني البيت الكبير في الكنعانية (kissa- u)أي كرسي أتت من السومرية بطريق الأكادية، وتوجد أسماء متعددة من النباتات والمعادن من أصل أشوري، أدخلت بطريق الفينقية واليونانية إلى اللغات الأجنبية مثل (carob) الخروب و (cassio)القثاء الهندي وغيرها فيليب حتى، تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين، ص 49.

(2) نفس المصدر ص، 164.

(3) المسيري، سبق ذكره، ص 174.

كما يشكك في قصة داود التوراتية والأكثر ارتباطا في القدس حيث معتقدات اليهود، كما يؤكد الباحث اللغوي الأمريكي، أولبرايت Olbraiyt إن الشكل السائد للتراكيب العظمية والجماجم البشرية الأصفى للقبائل السامية قد ظهر في العصر الحجري المتوسط في فلسطين منذ نحو عشرة آلاف سنة، علما بأن اليهود لم يظهروا للوجود إلا منذ ثلاثة آلاف سنة. والكنعانيون هم أول من أسس مدينة القدس في الألف الرابع قبل الميلاد، حيث يؤكد الباحث، بيرنارد Birnard والمختص بالأبحاث حول القدس بقوله، "وجدت آثار لقبائل هاجرت إلى نواحي القدس وتدل على أن موقع المدينة كان مسكونا في ذلك التاريخ. أي منذ نحو ثلاثة آلاف سنة قبل قدوم العبرانيين إلى القدس" وهم الذين أطلقوا عليها اسم "أور سالم" أو "أورشليم" الذي يعني مدينة الإله "شالم" إله السلام عند الكنعانيين، ومعنى اسم "أور سالم" في اللغة العربية "نور سالم" أو "مدينة سالم".

هذه أقوال مفكريهم وعلمائهم، فماذا بقي أن نقوله عن الهيكل والادعاء الصهيوني في القدس!؟.

الفصل الرابع

القدس في العهد الأشوري – البابلي

أغرى استيلاء المصريين على مدينة القدس ملوك الآشوريين المجاورين بالتوسع والاستيلاء عليها وإخضاعها لهم.[1] فقد بدأت محاولاتهم للاستيلاء عليها سنة 730ق: م فتقدم شلمنصرنحوها قاصداً السيطرة عليها، وتمكن من سبي بعض سكانها، وعاوده الكرة في سنة 723 ق: م واستمرت الحروب بينهما حتى سنة 721ق: م لكنه لم يتمكن من السيطرة عليها.[2]

وقعت مملكة يهوذا بين فكي كماشة ألآشوريين من الشرق والمصريين من الغرب، وما كان عليهم إلا أن يستنجدوا بالمصريين، فهب حزقيا للاستنجاد بهم فالتقى سنحاريب قائد الآشوريين بجيوش المصريين وانتصر عليهم، وأخذ يحتل المدينة تلو الأخرى، إلى أن وقف على أبواب القدس، وأصبح مليكها حبيسا كالطائر في القفص، وقد دفعت القدس الجزية إلى سنحاريب.[3]

قام الآشوريون بمحاصرتها، ودب الرعب والهلع والمرض في صفوف السكان، بيد أن الطاعون قد زحف على جيوش الآشوريين، وأهلك عدداً كبيراً منهم، مما اضطرهم إلى رفع الحصار ثم عادوا الكرّة عليها وأصبح سقوطها أمراً واقعاً لا محالة.

---

(1) يوسف، حمد عبد الله، بيت المقدس، سبق ذكره، ص 5.

(2) سركيس خليل، تاريخ القدس الشريف، بيروت مطابع المعارف، 1874م ـ ص 28، 32.

(3) سوسه، أحمد العرب وال يهود في التاريخ، سبق ذكره، ص 56.

الفصل الخامس

القدس في عهد الكلدانيين

حلت الدولة الكلدانية محل الدولة الآشورية سنة 612ق.م وباشر نبوخذ نصر بحملتين على القدس الأولى عام 597 ق. م والثانية عام 586 ق. م واستطاع في الحملة الثانية أن يحاصر أورشليم القدس، فسبى كل يهود أورشليم والرؤساء وجميع جبابرة الناس وفي هذه الفترة اختفت نهائياً مملكة بني إسرائيل، وبرزت إلى حيز الوجود فلسطين، بفضل الملك الفارسي كورش، الذي فتح أمام اليهود لمن أراد باب العودة إلى فلسطين اعتبارا من سنة 538 ق.م. فانقسمت دولتهم إلى شمالية وجنوبية ودب الصراع والقتال بينهما. حانت لعرب الجنوب الأدوميين من منطقة الخليل على بئر السبع الفرصة للاستقلال عن هذا الكيان، فقاموا بالانفصال التام، وأخذوا يشعرون بشعورهم الوطني والقومي. أما فلسطينيو الساحل فلم تستطع مملكة داود وسليمان فرض وجودهاعليهم واحتلال مدنهم، فقد ظلوا في صراع متواصل مع هذه السلطة. وفي الشمال – الجليل – فقد كان الكنعانيون حيث أضطر سليمان بأن يتخلى عن عشرين مدينة لحيرام لقاء مساعدته في بناء المعبد، فلم يكن تنازله هدية كما تدعي الروايات المختلفة، بل كان تخلصا من هؤلاء القوم الذين لم يخضعوا لحكم مملكة إسرائيل في القدس. أما الصراع الخارجي فكان بين الأشوريين من الشرق والمصريين من الغرب.

القدس في عهد الفرس الإخمينيين

عصر الملوك: لقد كان السبي البابلي لليهود من هذه البلاد نتاج صنيعهم ففي هذه المرحلة، كان لكل مدينة ملك، والمملكة لا تقوم إلا بالقضاء المبرم على المملكة المجاورة، فبنو إسرائيل أرادوا القضاء على الفلسطينيين، وحاولوا القضاء على الكنعانيين. والميديانيون والفلسطينيون حاول كل منهم القضاء على بني إسرائيل، فالحرب لا تنتهي إلا بالإبادة، حتى شهد القسم الأخير من القرن السادس قبل الميلاد تحولا جذريا انتهى

بعده عهد (الدول المدنية)، مستسلما لعهد الدول المركزية الخارجية القوية، وكان أول الملوك الأقوياء في هذه المرحلة الملك كورش الثاني الفارس [1].

في عام 538-539 ق.م استولى كورش الإخميني على بلاد بابل، وكانت قصة سماحه لليهود بمغادرة من أراد منهم نتيجة وقوعه في حبال زوجته اليهودية أستر (هداسا) التي تحايلت عليه وعمل معهم صنيعاً حميداً فأعاد إليهم جميع ما أخذه منهم نبوخذ نصر من الكنوز والذهب والفضة.

حكم الفرس المنطقة مائتي سنة، وفي عهد داريوس، قسمت إدارياً إلى عشرين ولاية وكانت فلسطين جزءاً من الولاية الخامسة، وكان منها لواء العربية الذي ضم فلسطين والأردن وبادية الشام، وكانت اللغة الأرامية هي اللغة السائدة، أما الفارسية فلم تتجاوز الأوامر وتعليمات الحكومة، وقد انتهى العهد الفارسي بفتوحات الأسكندر المقدوني.

(1) الحوت، بيان نويهض، فلسطين، سبق ذكره، ص 57.

obeikandl.com

الفصل السادس

القدس في عهد اليونان

تمكن الإسكندر المقدوني من إسقاط الإمبراطورية الفارسية سنة 322 ق. م، في عهد الملك الفارسي دارا وزحف على فلسطين، وكان في القدس من بقايا اليهود الذين هرعوا لاستقباله، يذكر المؤرخ اليهودي، "يوسيفوس" أنه لما سمع اليهود باقتراب الاسكندر هرعوا لاستقباله خارج المدينة عند صفا والتقوا به، ثم أن الكاهن الأكبر لقي الاسكندر بالإكرام والإجلال ومضى معه حتى أدخله القدس.[1] وأما الاسكندر فقد طلب من الكاهن أن ينضم اليهود إلى جيشه وان يرافقوه إلى محاربة دارا، فتطوع عدد منهم"[2]

امتاز اليهود ببعض الامتيازات الخاصة بممارستهم لشعائرهم الدينية، بعد وفاة الاسكندر فانقسمت مملكته إلى أربعة أقسام، كانت القدس من نصيب سلوقس حاكم سوريا. ثم هاجم بطليموس ملك مصر القدس سنة 301 –298ق. م، ودك حصونها، وعامل اليهود أسوأ معاملة، واصطحب معه عدداً منهم إلى الإسكندرية، وأصبح أكبر تجمع لهم فيها[3]

وكانت القدس تتأرجح بين حكم السلوقيين في سوريا، والبطالسة في مصر، بيد أنهم لاقوا أسوأ معاملة في عهد الملك السلوقي أنطوخيوس الرابع (أبيفان) سنة 164-

---

(1) يوسفوس، تاريخ يوسفوس،" إبراهيم صادر " الفصل الثامن من الكتاب الحادي عشر ص 324 – صفا: هي بيت صفافا، حسب رأي المؤرخ الإنجليزي وليام في كتابه المدينة المقدسة، كما جاء في كتاب د. حمد عبد الله .

(2) العارف،المفصل في تاريخ القدس، سبق ذكره، ص 35.

(3) ابن العبري، سبق ذكره، ص 101.

175 ق.م قام هذا الحاكم بتدمير الهيكل، ونهب خزائنة، وأجبر اليهود على نبذ اليهودية، واعتناق الوثنية اليونانية.

إندلع الصراع بين اليهود المكابيين، وبين الإغريق، وقد أطلق على هذه الفترة بالمكابية، والتي امتد الصراع فيها قرابة قرن وربع منذ عام 37- 166 ق. م.

أسرف أنطوخيوس الرابع في تعصبه الديني فحّرم على اليهود ما يلي: القيام بشعائرهم الدينية وأحرق كتبهم، وحرم عليهم الختان، وأرغمهم على انتهاك حرمة السبت وأكل الخنزير، وأهلك منهم خلقاً كثيراً وسبى النساء والأطفال، حتى أضطر من نجا منهم من الموت إلى الفرار هرباً من المدينة.[1]

كان للصراعات الكثيرة والقلاقل المتعددة في القدس، الأثر الكبير في تقويض حياتها السياسية والاجتماعية، مما سارع في انهيارها، وأصبحت لقمة سائغة فيما بعد لحكم الرومان.

(1) بك باشا، تاريخ شرق الأردن وقبائلها، بغداد، مكتبة النهضة العربية، ص 41

obeikandl.com

الفصل السابع

القدس تحت الإحتلال الروماني الأول

تغلّب الرومان على السلوقيين في سوريا، وتوسعوا صوب فلسطين، واحتلوا القدس عام 63 ق:م على يدي القائد الروماني بومبي. "وترك كنوز الهيكل فيه، وفي عام 54ق. م فقد نهب كراسس الهيكل، وأخذ كل خزائنه التي بلغت نحو مليوني ليره استرلينية تقريباً"[1] وفي هذه الفترة كما قال سترابو الذي كتب عن هذه الأحداث حوالي سنة 19 ب. م، قائلا "كان الأنباط في بلاد أدوم جنوب القدس وحولها، المصريون والعرب والفينيقيون إلى الشمال" أي أن القدس لم تكن تحوي جنساً واحداً من السكان، وأن سكانها بقوا فيها.وبعد خراب أورشليم، ورث الأدوميون يهودا الجنوبية من الخليل إلى بئر السبع، فشرقا إلى وادي عربه، والأدوميون عرب موطنهم حدود الصحراء الشرقية في جنوب فلسطين، وهم من نسل عيسو، وكان من الأدوميين الملك هيرودوس الكبير الذي كان تابعا للرومان وكانت فترة حكمه من عام 37- 4 ق. م. حيث ساعد الأدوميون البابليين على بني إسرائيل بسبب العداء المتأصل بينهم وبين بني إسرائيل عندما مروا من ديارهم في عهد موسى.

كان أنتيبيتار الأدومي سّيد فلسطين الحقيقي، وكانت سياسته أن يتمسك بصداقته مع روما مهما كلف الثمن، فمنحه يوليوس قيصر لقب حقوق المواطنة الرومانية، وأقامه نائباً عنه على فلسطين سنة 48 ق: م، كان بكره فصايل واليا على القدس، وفي عام 40 ق:م تمكن الفرس من الاستيلاء على بلاد الشام بما فيها القدس، وقتلوا فصايل، وبعد

(1) قاموس الكتاب المقدس، تحرير بطرس عبد الملك وجون الكسندر طمس وإبراهيم مطر، بيروت، مكتبة المشعل الإنجيلية، 1964م، 1967م.

سنتين استولى الرومان على الفرس، فعيّن هيرودوس الأدومي[1] البنّاء، ملكا على فلسطين من سنة 37-4 ق: م.

"كان هيرودوس رجل حرب شجاعاً، 'دعى أنه تهوَّد وبنى هيكلاعلى أنقاض الهيكل المدمر وراعى عواطفهم الدينية والقومية، فلم يعدوه إلا أجنبيا غريبا ولم يتقبلوا عطفه إلا باشمئزازوكانوا ينفرون منه كلما مال إليهمفتكشف لهم عن عدو في ثياب صديق فعاملهم بعنف واضطهدهم بقوة."(2)وأعاد بناء الهيكل الذي دمر وبنى قلعة بباب الخليل، وهو القصر الملكي، وليس قلعة داود كما يدعي اليهود، وإلى الشرق والجنوب الشرقي من هذا القصر، أنشئت حدائق غناء ليتمتع بمنظرها هذا الملك الأدومي، بقي هذا الحصن في عهد تيتس عام 70 للميلاد بيد أن سفروس خربه، وأعاد تشييده هدريان، وجعله قلعة في عصره، وخرب في حروب متوالية، ولم يبق على هيئته الحالية إلا في القرن الربع عشر، عدا الزاوية السفلية لجهة الشرق فهي بقايا من عمارة هدريان.

أنشأ هيرودوس حول هذا القصر ثلاثة أبراج، وكان من إنجازاته أيضا، جر مياه بركة العروب إلى القدس.وظهرت في عهده دعوة السيد المسيح(عليه السلام)، ودعوته التوحيدية ودوره الإصلاحي في عودة هذه الأمة إلى عبادة الله، بعد أن انحرفوا إلى عبادة الأصنام والذين اتخذوا من الهيكل مكانا لبيع الحمام والطيور، ومكاناً للصرافة، وإخراجه عن الهدف الذي أنشيْ من أجله.

وفي عام 68م قام فسباسيان الروماني بحملة على القدس وحاصرها، واستطاع أن يجتث اليهود من أوكارهم، ويقضي عليهم قضاء مبرما، وقد عين هذا القائد فيما بعد

(1) لا يعترف االيهود بحقية هيرودوس في الديانة اليهودية حيث أن اليهودي هو من كانت أمه يهودية، وأمه ليست يهودية وهو أدومي من الأنباط، وهناك روايتان عنه، فمنهم من يقول، أنها عربية فلسطينية من عسقلان، والرواية الأخرى نها من مملكة الأنباط واسمها سيروس، وأنها كانت من الأسرة المالكة.

(2) البرغوثي، عمر الصالح، وطوطح، وخليل ، تاريخ فلسطين، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، 2001م، ص 59.

إمبراطورا حيث يورّث ولده (تيتس) الحقد على اليهود، فتوجه إلى القدس، وحاصر اليهود، ودخل القدس سنة 70 م، وأوقع مذبحة مريعة في اليهود، وضرب المدينة، وذبح الكهنة، وأحرق الهيكل، وأزاله عن الوجود تماما، بحيث لم يعد يهتدي الناس إلى موضعه.

تجددت ثورة اليهود في عهد باركوخبا فكان نتيجتها أن دمّر ما تبقى من اليهود في هذه الديار على يدي الرومان سنة 135 م، وألجأهم إلى الجبال، وأخذوا يشنون حرب عصابات فجّرد عليهم الرومان حملة اجتثت وأحرقت قراهم مواقعهم، وحوَّل هدريان (القدس) إلى مستعمرة رومانية وحرّم على اليهود سكنها، وبدل اسمها إلى (إيليا كابتولينا) وأسكنت جاليتان رومانية ويونانية في القدس، وأقيم محل الهيكل معبد أسمه جوبيتر.

"مضى هدريان قُدُماً في خطته لجعل القدس مستعمرة رومانية، وقرر الرومان عدم السماح لليهود بالدخول إلى إيليا كابتولينا، فلم يعد لهم كيان في العصور اللاحقة [1]، وبذلك تكون القدس قد دمرت في عهد الرومان مرتين، الأولى على يدي تيتس عام 70م والثانية عام 135 م على يدي هدريان وقد سحقت جميع الآثار اليهودية من هذه المدينة، ولم يبق منها إلا الذكريات، حيث شتت اليهود على يد الرومان في أرجاء المعمورة، وقد زالوا من القدس، ولمدة ثمانية عشر قرنا.

"بعد خراب أورشليم هذه، انكسرت شوكة اليهود، وضعفت قوتهم، فرجع النصارى من عبر الأردن، وبنوا كنيسة وسكنوا في القدس، وكانت تبنى رويداً رويداً إلى أن أعاد بناءها أدريانوس بعد أن كانت قد هدمت في حصار تيطس، ووضع فوق أحد أبوابها حجراً منقوشاً فيه أوامر منع اليهود من السكن فيها وسمى المدينة إيليا"[2]

(1) سوسه، العرب واليهود في التاريخ، سبق ذكره، ص 589.

(2) سركيس، تاريخ أورشليم، سبق ذكره، ص، 153.

ومن الإنجازات العمرانية التي خلفها الرومان في مدينة القدس ما يلي:

أولا: بناء حصن أنطونيا الذي يقع إلى الشمال من الحرم القدسي الشريف.

ثانيا: تحصين السور، حصّن هيروردس الأدومي السور وزاد في منعته وأقام فوقه ثلاثة أبراج وأقام مسرحا عظيما وميدان سباق للخيل وعددا من التماثيل والحمامات.

obeikandl.com

الفصل الثامن

القدس تحت الإحتلال الفارسي الثاني

انقسم الرومان إلى دولتين شرقية وعاصمتها القسطنطينية وغربية وعاصمتها روما، شجع هذا الإنقسام الفرس إلى الإغارة على القدس، فأمر شاه الإمبراطورية الساسانية كسرى الثاني قائدي جيشه (شهرياراز وشاهين) بالسير إلى سوريا واستخلاص القدس من أيدي الروم، ففعلاما طليه منهما، ونجحا في احتلالها خصوصا بعد أن ساعدهم اليهود الذين كانوا ناقمين على البيزنطيين.

فتح الفرس المدينة سنة 614م بعد حصار استمر 21 يوما وتنص السجلات على أن الفرس واليهود ذبحوا آلاف النصارى من سكان القدس كما ورد ذلك في القرآن الكريم في سورة الروم قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ۝٤﴾ [1]

استمرت المدينة خاضعة للفرس 15 عاما إلى أن استطاع الروم استعادتها سنة 629م تحت قيادة الإمبراطور هرقل وظلت بأيديهم حتى الفتح الإسلامي سنة 636م.[2]

(1) القرآن الكريم سورة الروم، آية4.

(2) الشبكة العنكبوتية، القدس، ويكيبيديا (الموسوعة الحرة).

obeikandi.com

الفصل التاسع

القدس تحت الإحتلال البيزنطي (العهد الروماني الثاني)

اعتلى الحكم في القرن الرابع الميلادي الإمبراطور قسطنطين الذي اعتنق المسيحية، وكان ذلك بين عامي 306 – 337 م وسمح للمسيحية بالانتشار في الغرب، وفتح روما وأصبح إمبراطور المملكة الرومانية في الشرق والغرب بلا منازع .[1] واهتم بالقدس وآثارها، وبرزت الأهمية الدينية لهذه المدينة المقدسة لدى المسيحيين. فأصبح الحج إلى القدس من أهم الأعمال المحببة إلى قلوب المسيحيين، إذ حج إليها السيد المسيح (عليه السلام) في النصف الأول من القرن الأول الميلادي وكان عمره اثني عشر عاما. [2]

كان قسطنطين تقياً، انتعشت النصرانية في عهده انتعاشاً كبيراً، وزارت أمه هيلانه أورشليم سنة 326م، فهدمت الهيكل وحطمت الأصنام التي أقامها (أدريانوس)، وأزالت الأتربة والحجارة فظهرت صخرة (الجلجثة) بارزة على هيئتها الأصلية، وفي وسط البستان بنيت مغارة المسيح، وفي هذا المكان نفسه بنيت كنيسة القيامة سنة 335 م."وبنت المكان المقابل للقمامة المعروف يومئذ بالدركاه، وكنيسة بيت لحم والكنيسة بطور زيتا بمصعد سيدنا عيسى (عليه السلام) وكنيسة الجيسمانية التي بها قبر مريم (عليها السلام) وغير ذلك، وخربت هيكل بيت المقدس إلى الأرض، وهو الذي كان في المسجد، وأمرت أن يلقى في موضعه قمامات البلد، وزبالته، فصار موضع الصخرة الشريفة مزبلة، وبقي الحال على ذلك حتى قدم عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" وفتح بيت المقدس الشريف، على ما سنذكره عند الفتح العمري إن شاء الله تعالى"[3]

---

(1) العارف، المفصل في تاريخ القدس، سبق ذكره، ص، 71.

(2) يوسف، حمد عبد الله، بيت المقدس، سبق ذكره، ص 10.

(3) الحنبلي، الأنس الجليل، سبق ذكره، ص، 17.

عندما تبوأ العرش هرقل سنة 610 – 641 م وزحفت جيوش كسرى ملك فارس سنة 613 م غرباً، بعد استيلائها على سوريا زحفت على فلسطين سنة 614 م واحتلت القدس وذبحت 90 ألفا من المسيحيين، وقد أقدموا على هذه الغزوة بتحريض من اليهود الذين كانوا يتوقون للانتقام من المسيحيين، فهدموا كنيسة القيامة، ومعظم الكنائس والأديرة، وأمر كسرى أن يؤخذ رخام الكنائس إلى بلاده، لكنَّ هرقل جمع قواته وقطع خط المواصلات بين الجيش الفارسي وقاعدته في الرافدين، وانتصر على الفرس في معركة نينوى سنة 627 م وعلى أثرها تصالح الفريقان، ورجعت سوريا وفلسطين إلى حظيرة الدولة البيزنطية، ودخل هرقل القدس في 14 أيلول سنة 629م.[1]

(1) العارف، المفصل في تاريخ القدس، سبق ذكره، ص 76و77.

obeikandl.com